

جامعة العربي بن مهدي - أم البواقي

قسم اللغة والأدب العربي

مادة: النص الأدبي المعاصر / محاضرة

السنة الثانية ليسانس / دراسات نقدية

الأستاذ: بن نابت سمير

## المحاضرة 10: الفنون النثرية المعاصرة (القصة).

### مقدمة:

القصة هي الفن الأقرب إلى الحياة، لأن حياة الإنسان هي بصورة من الصور قصة يكتبها الزمن، وهي كذلك حياة المجتمعات وتاريخها، سلسلة لا نهائية من القصص، فليس عجيباً أن يهتم الإنسان منذ القدم بهذا الفن الذي ولد معه ونمى بنمائه.

### 1/ مفهوم القصة:

يعرف العديد من النقاد القصة على أنها "عمل أدبي، يصور حادثة من حوادث الحياة أو عدة حوادث مترابطة، يتعمق القاص في تفصيلها والنظر إليها من جوانب متعددة ليكسبها قيمة إنسانية خاصة مع الارتباط بزمانها ومكانها وتسلسل الفكرة فيها، وعرض ما يتخللها من صراع مادي أو نفسي، وما يكتنفها من مصاعب وعقبات، على أن يكون ذلك بطريقة مشوقة تنتهي إلى غاية معينة". ويكتفي عز الدين إسماعيل بالإشارة إليها فقط على أنها فن نثري "يتضمن أحداث جزئية كثيرة، وخبرات متنوعة"، أما عبد القادر فيدوح فيعرفها بأنها "رصد أو وصف لأحداث واقعية ضمن سياق اجتماعي زمني معين"، وهي كذلك "رصد لواقع لا يتغير لكنه يحمل نبؤات التحول من خلال استطلاع واقع الشخصية "الفنان" أفق المستقبل حيث يصبح واقعاً مهياً قابلاً للتحول، ومعداً للانفجار ومرشحا للثورة، وللاستتباب".

## 2/ نشأة القصة:

عرف النثر العربي ازدهارا كبيرا في تاريخ الأدب العربي، وبشكل خاص أساليب النثر القديمة من مقامة ورسالة وخطابة وتوقيعات منذ العصر الجاهلي حتى العصر العثماني، كما عرفت أساليب النثر الحديثة هي الأخرى تطورا في العديد من الأشكال منها: فن المقال/ الخطابة/ الرسالة/ القصة/ الأقصوصة/ الرواية/ المسرح... إلخ، وهذه الأشكال نجدها قد ازدهرت في عصر النهضة الأدبية بعد حملة (نابليون بونابرت) على مصر، وقد كان لفن القصة العربية نصيب كبير من التطور على مستوى الشكل أو المضمون، حيث كان النقد العربي مواكبًا لحركة الكتابة القصصية التي قدمت الكثير من التجارب النثرية في هذا الفن، وقد كانت بدايات فن القصة تدور في اتجاهات عدة هي:

- اتجاه المقامات: من خلال الاعتماد على فن المقامة العربية كنموذج للقصة النثرية، من خلال استخدام لغة السجع والجناس، مثل كتاب (حديث عيسى بن هشام) لمحمد المويلحي، الذي يمكن عده قصة تهدف بطابعها الاجتماعي إلى كشف طائفة من سلوكيات أفراد المجتمع بطريقة تهذيبية.
- اتجاه الكتابة على نموذج ألف ليلة وليلة: الذي حاكاه العديد من الأدباء منهم: حافظ إبراهيم في كتابه ليالي سطيح، ولطفي جمعة في كتابه ليالي الروح الحائر، وغيرها من الليالي.
- اتجاه أدب الرحلات: وفي هذا الاتجاه نسج الأديب نصه القصصي على منوال فن الرحالة نحو: تلخيص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة رافع الطهطاوي.
- اتجاه المحاكاة والتأليف للنماذج الغربية: والنسج على منوالها نماذج قصصية فنية نذكر منها: علم الدين لعلي مبارك، وقائع الأفلاك في مغامرات تليماك لرفاعة الطهطاوي.
- اتجاه الاقتباس والترجمة: يقوم على ترجمة النماذج النثرية الغربية وتقديمها كما هي مع تقديم عناوين عربية لها، مثلما نهجه مصطفى لطفي المنفلوطي من ترجمات للعديد من الأعمال القصصية العالمية نحو: ماجدولين، تحت ظلال الزيزفون، الشاعر، في سبيل التاج، وغيرها من الأعمال القصصية العالمية.

وتعد هذه التجارب النظرية السالفة للذكر بداية فن القصة العربية لكون لكل فن أدبي بدايات تحدد شكله، وتطوره التاريخي الذي عرفه تدريجياً.

### 3/ أركان القصة:

تعددت عناصر القصة العربية، إذ عددها النقاد في الآتي: الحادثة، السرد، البناء الشخصية، الزمان، المكان والفكرة. وقد ساهمت هذه العناصر في تحديد التطور السردى للقصة العربية، وتتبع مسار أحداثها.

#### أ- الحادثة:

هي مجموعة الوقائع الجزئية السائرة في نظام خاص نحو هدف معين وعلى خط خاص، وهناك نوع من القصص يوجه فيه القاص همه إلى الحادثة ويكاد يهمل سائر العناصر، ويدعى هذا النوع (قصة الحادثة أو القصة السردية)، وفي القصة السردية تكون الحركة هي الشيء الرئيسي، أما الشخصيات فإنها ترسم كي اتفق، فالحركة عنصر أساسي في العمل القصصي، وهي نوعان: حركة عضوية، وحركة ذهنية؛ والحركة العضوية، تتحقق في الحوادث التي تقع، وفي سلوك الشخصيات، بذلك تعدّ تجسيماً للحركة الذهنية التي تتمثل في تطور للفكرة العامة نحو الهدف الذي تهدف إليه القصة، ومن تلك القصص السردية نذكر قصص المغامرات والقصص البوليسية، وهي بمجملها تهدف إلى الإمتاع والتسلية لا إلى تفسير الحياة، وعرض جوانبها.

#### ب- السرد:

السرد هو نقل جزئيات الوقائع بواسطة ألفاظ تعبر عنها. ولكي يكون السرد فناً يضاف إلى نقل الوقائع ألفاظ التعبير التي توضح تلك الوقائع وتعللها وتزيدها بذلك حيوية وتشويقاً كما لو قلت مثلاً (ركض من خوفه ثم سقط على الأرض مستغيثاً)، وهناك ثلاث طرق للسرد، الطريقة المباشرة التي يكون فيها الكاتب مؤرخاً يسرد من الخارج، وطريقة السرد الذاتي التي يكتب فيها الكاتب على لسان المتكلم متلبساً لشخص أحد الأبطال، وطريقة الوثائق التي تتحقق فيها القصة عن طريق الرسائل أو اليوميات والحكايات وما إلى ذلك.

## ج- البناء:

هو الطريقة التي تسير عليها القصة لبلوغ هدفها، ويكون البناء فنيا إذا اعتمد طرائق التشويق وكان متلاحم الأجزاء بحيث يتكون منه ما نسميه (الوحدة الفنية) وقد تقوم وحدة السرد على شخصية البطل كما في قصص المغامرات، أو تقوم على تلاحم الوقائع بحيث تتبع تصميميا معيناً، وتسير متساندة غير متزاحمة، وبحيث يقع كل حادث في محله مطورا ما قبله، مطلقا ما بعده، وذلك في تساوق معقول وفي تناغم بين الموضوع والواقع يوفران المتعة الأدبية. ومما لا شك فيه أن البناء يختلف باختلاف أنواع القصص، إلا أن هنالك بناء عاما بسيطا مرجعه إلى مقدمة تنطوي على التعريف بما لا بد من معرفته لفهم السياق، وإلى عقدة تبدأ معها عملية البناء، ثم تطرأ عليها المفاجآت التي يعقدها وتخلق القلق في نفس القارئ، ثم ينمو فيها الصراع مع نمو الحركة بحيث تتأزم وتشير إلى حل تزول فيه العراقيل شيئا فشيئا، وتتجلي بعده النهاية وترتاح معه النفس إلى معرفة الهدف الرئيسي.

## د- الشخصية:

الأشخاص في القصة من أهم عناصر الحكمة، فهم الأبطال، وهم مصدر الأعمال والكاتب يخلقهم على مسرح قصته، ينيط بهم سير العمل القصصي، فيتصرفون وفاقا لسنن الحياة، ويتصرفهم هذا يتفاعل القارئ معهم تفاعلا عاطفيا وفكريا ونفسيا. وطبيعي أنه من الصعب أن توجد بين أنفسنا وشخصية من الشخصيات التي لم نعرفها ولم نفهمها نوعا من التعاطف، ومن هنا كانت أهمية التشخيص في القصة، فقبل أن يستطيع الكاتب أن يجعل قارئه يتعاطف وجدانيا مع الشخصية يجب أن تكون هذه الشخصية حية. فالقارئ يريد أن يراها وهي تتحرك، وأن يسمعها وهي تتكلم. يريد أن يتمكن من أن يراها رؤية العين. وهناك نوعان من الأشخاص، النوع الجاهز الذي يبقى على حاله من أول القصة إلى خاتمتها ولا يحدث فيه تغير كيانى، والنوع الثاني الذي يتكشف شيئا فشيئا ويتطور مع المواقف تطورا تدريجيا بحيث لا يتم تكوينه إلا بتمام القصة (الشخصية المسطحة والشخصية المستديرة) وهنالك ما يسمونه (قصة الشخصية) وهي بخلاف

قصة الحادثة تهتم بالأشخاص والمواقف قبل الاهتمام بالأحداث والوقائع، فتركز الأشخاص ثم تختار لهم من الأعمال ما يوافق. وهناك قصة الحكمة وقصص الجو.

#### هـ - الزمان والمكان:

الزمان والمكان مقياسا الأعمال: ولا بد لكل عمل أن يتم في زمان ومكان، ومن ثم فالصلة بينهما وبين العمل صلة ضرورية، ومن ثم فلا بد لكاتب القصة من مراعاة أحوال الزمان والمكان، ومن التقيد بالعادات والأخلاق وفقا لكل زمان ومكان، بحيث تصبح القصة حية، ذات صلة وثيقة بالواقع، وذات قوة إبهامية. وقد يهتم بعض الكتاب للبيئة اهتماما خاصا يجعلونها شخصية رئيسية في القصة، ويحاولون تمثيلها بقوة وروعة.

#### و- الفكرة:

الفكرة هي الكاتب نفسه في ما يهدف إليه من وراء قصته، وهي من ثم تقود العمل وتعلله بحيث يصبح الحل ما يريد الكاتب أن يقتنع به القارئ، إلا أنه إذا تخلى الكاتب عن الفن في سبيل الفكرة، وسير الأشخاص على غير ما تقتضيه أخلاقهم وأحوالهم، فإنه يخطئ بذلك هدف الإمتاع وناحية الحياة في قصته، وهو إذا أهمل الفكرة وتخلى عن الهدف في سبيل الفن المجرد، فإنه يخطئ هدف الفائدة من قصته، ويزج كتابته في عالم من الفراغ واللاشيء، وذلك أن الفن متعة وفائدة، لا تقوم الواحدة بمعزل عن الأخرى، غير أن الفكرة يجب أن تتساب في القصة انسيابا خفيا فيستخلصها القارئ استخلاصا ولا يصرح بها الكاتب تصريرا.

#### ز- الصراع:

هو تلك المواجهة التي نراها في القصة، قد تكون نزاعا أو صراعا بين شخص ما وغيره من الشخصيات، وقد يتجلى هذا الصراع على هيئة مواجهة ما بين الأفكار والقيم داخل شخصية واحدة أو شخصيات، يستمر الصراع في العادة إلى أن يُحل أو يتخذ مسارا آخر.

**ح- الحكبة:**

تمثل الحكبة ما يرسمه القاص من أحداث في علاقاتها المتشابكة، وحيث أن حدثاً يُفضي إلى آخر، ويكون سبباً فيه، فإن الحكبة تمثل علاقة بين سبب ومسبب، قد يُظهرها القاص أو يترك استنتاجها للقارئ، فالحكمة ليست أحداثاً مسرودة فحسب، بل هي الأحداث في علاقات بعضها بعضاً.

**ط- الأزمات:**

تتمثل الأزمات في نقاط التحول في مسار القصة، حيث تنتقل الشخصية مثلاً، من وضعية سيئة إلى وضعية جيدة أو العكس، قد تمنحها الأحداث أو الأقدار ما هو إيجابي لها، وقد تسلب منها ما يسعدها.

**ك- الذروة:**

الذروة هي أعلى درجات الفعل في القصة، فهي تلك النقطة التي تتحلل فيها مشكلة البطل، وغالباً ما تكون النتيجة إيجابية في القصص، ويحدث أحياناً أن تكون سلبية وضد البطل، يتجلى عند الذروة شعور القارئ بتحقق توقعاته، ويحدث العكس في بعض القصص الأخرى، ويحدث أحياناً أن تتوقف بعض القصص عند الذروة، وتترك للقارئ أن يُعمل خياله في انحلالها، استناداً إلى تلك النهاية المفتوحة التي لم تُحسم في اتجاه، بل تفتح أفقا لاتجاهات عديدة.

**ل- انحلال الذروة:**

يحدث أن تتحلل الذروة في بعض القصص، ويتجلى ذلك في الجزء الذي قد يأتي بعد الذروة. قد يأتي على شكل تفسيرات واستخلاصات، وغالباً ما يأتي موجزاً، وبأقل قدر من الكلام.

**خاتمة:**

قدمت القصة العربية الحديثة والمعاصرة العديد من النماذج النثرية الراقية عن المجتمع العربي وعاداته وتقاليده وفلسفة الحياة التي يعيشها، ولذلك بات النص القصصي بمثابة مدخل

لتفسير ذلك الواقع المؤلم الذي يعيشه الفرد داخل أسوار مجتمع تحكمه طقوس ومرجعيات تصور الفرد كيف يحيا داخلها بتجاربه وصراعاته وأفكاره، وعليه كان القاص العربي يصور تلك النماذج البشرية، ونمطية عيشها، وجدلية الحياة والموت على أسوار المجتمع وفق تلك الكائنات الورقية كما يعبر عنها رولان بارت.

### المراجع:

- جميل سلطان: فن القصة والمقامة.
- حسن البحراوي: النصوص النثرية المعاصرة.
- سوسن رجب: فن القصة في النثر العربي. على الرابط:  
<http://www.angelfire.com/nd/prose/story.htm> 2015/02/22
- عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه (دراسة ونقد).
- عبد القادر فيدوح: شعرية القصص.
- نبيلة إبراهيم: فن القص في النظرية والتطبيق.